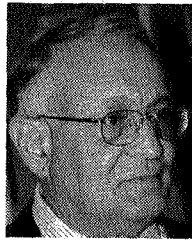


سقوط إمبريالية المحافظين

اتجهت أوروبا إلى التوحد ضمن مجموعة الاتحاد الأوروبي الذي يضع سياسات وخطاً موحدة للتعامل مع دول العالم الثالث، وتزامن ذلك مع تفكك وفشل محاولات ضم دول العالم الفقير في تنظيمات تستطيع التفاوض مع الغرب لتحقيق عدالة توزيع الثروات بغرض أن يسود السلام بين دول العالم، كان هذا مقبولاً بعد الحرب العالمية الثانية واستمر الحوار بين دول الشمال والجنوب لسنوات، كانت الأمم المتحدة مظلة طيبة لهذه الحوارات في زمن كان لدول العالم الثالث قدرة جيدة على التنسيق الهادف فيما بينها واتخاذ المواقف المشتركة.



د. مصطفى الرفاعي

إسرائيل كدولة خليفة تؤمن باستعمار أرض الغير وبالضرب بقسوة على فلول الفقراء من الأعداء العرب خارج ودخل إسرائيل. إلا أن العنف يولد العنف والظلم والقهر لم ينجحاً في فرض الاستسلام بل أنتج المقاومة وأشعل روح النضال، وكانت هذه ثمرات الفكر الإمبريالي الجديد الذي بُني على أن من حق الأقوى أن يتسديد وأن يفرض ما يشاء على الآخرين وأن يستعبد الضعفاء والفقراء، هو فكر عنصري دعا إليه هتلر الذي أقتع شعبه بتفوق الجنس الآري واتخذت النازية شعار «ألمانيا فوق الجميع» طموح هتلر صور له أنه يمكنه أن يهزم أوروبا بأكملها وأوشك على ذلك، ولكنه لم يستطع أن يهزم جيوش روسيا والولايات المتحدة.

المحافظون الجدد حشدوا الحملات العسكرية لاستعمار الشرق الأوسط وأفغانستان لأنها مناطق غنية بالجوائز والغنائم والثروات ولا تستطيع الصمود أمام الآلة العسكرية الأمريكية، وراوا أن ذلك يكون استثماراً مجزياً

الانغلاق، وهو انغلاق يكف يد الولايات المتحدة الأمريكية عن مساعدة الدول الفقيرة، إلا أنها سياسات لم تتاد بغزو واستعمار الدول الأخرى، طور المحافظون الجدد فكر المحافظين القدامى إلى استخدام القوة العسكرية الأمريكية لاحتلال بلاد الشرق الأوسط واستعمارها، واستخدموا في سبيل ذلك القسوة الشديدة وقتل المدنيين والتعذيب، وما هو أكثر من ذلك، هذا هو الفكر الأمريكي الجديد الذي طبقه الرئيس الحالي جورج بوش ونائبه ومجموعة المحافظين الجدد التي تضم أيضاً رئيس البنك الدولي الحالي وهو فكر إمبريالي.

تبدل الهدف من سعى إلى عالم تسوده العدالة والحرية والتسامح والسلام إلى عالم جديد بفكر جديد، وهو ظهور الإمبراطورية الأمريكية كأكبر قوة عسكرية واقتصادية في العالم، تكون كلمتها العليا وجيوشها على أهبة الاستعداد لضرب أي موقع في العالم وتآديب من لا يذعن لأوامرها، وفي سبيل ذلك يستخدم في هذه العمليات بعض العملاء مثل

ولعبت حركة عدم الانحياز دوراً في هذا التنسيق، وكان أكثر الزعامات نجاحاً في قيادة تحرك الدول الفقيرة من تعلموا ببلاد الغرب مثل نهر و استخدموا قيم الغرب في إقناعه لصالح البلاد الفقيرة، تضمن المنطق السائد تحقيق مصالح الغرب في تفادي حروب و صدام وثورات تقصف بمصالح الغرب.

استجاب لهذه الدعوة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الليبراليون من العلماء والحكماء الذين تعاطفوا مع حاجات فقراء العالم وفضلوا عدالة توزيع الثروات ومساعدة الدول النامية على الاستعمار، ومن أمثال هؤلاء إيزنهاور وجون كيندي وبرتراند راسل.

نشأ في ذلك الوقت تيار مضاد ب «الولايات المتحدة الأمريكية»، وهو تيار المحافظين مثل جولد ووتر ممن نادوا بالتخلي عن الاهتمام بدول العالم الفقير، ورواوا أن السياسة الأمريكية يجب أن تختص بمصالح الأمريكيين فقط أي أن سياسات المحافظين في الستينيات بنيت على

لأموال أنفقت على تكنولوجيا الحرب ولم تأت بعائد اقتصادي. حروب العراق وأفغانستان وفلسطين واحتلال منطقة الخليج وضرب سوريا كانت استعراضاً فحاً للقدر على البطش والقهر أمام العالم كله، سعى البعض لاسترضاء «الفتوة الأمريكية» القادر على القتل والتعذيب والذي لا يأبه بالقوانين الدولية، وتضمن الاستعراض إعدام صدام بأيدٍ عراقية، وكذلك فظائع سجنى جوانتانامو وأبو غريب، ولم تخل هذه الحملة العسكرية من غطاء ديني مسيحي لحشد تعاطف وتأييد البسطاء من الأمريكيين وإضفاء صبغة الجهاد ضد الكفار المسلمين في حرب صليبية جديدة.

يا له من افتراء أفاق منه أخيراً شعب الولايات المتحدة الأمريكية باختيار رجل ملون من أصول إفريقية رئيساً للبلاد، انقلاب كامل في ثوابت شعب قام تاريخياً على فكر تسديد العنصر الأبيض واستعباد الزنوج وإبادة الهنود الحمر، وصاحب ذلك انهيار نظام اقتصادي منيع. دعانا المحافظون الجدد إلى تطبيق عولمة وليبرالية تناقض مبادئهم، لأنهم لا يؤمنون بها ولا يمارسونها، وهي دعوة زائفة هدفها سيطرة الدول الصناعية على أسواق وثروات الدول الفقيرة.

دعاة العولمة والليبرالية الجديدة هم أصحاب سياسات الاستعمار الجديد لتحقيق أحلام الإمبراطورية الأمريكية.

ماذا حقق بوش لنفسه ولبلده؟ وماذا حقق هتلر لنفسه ولـ «ألمانيا»؟

وماذا حقق صدام لنفسه ولبلده ولأولاده؟ أمعنوا في قتل وامتهان أدمية مئات الألوف من الأبرياء وحققوا الخراب والدمار، وذهبوا جميعاً إلى مزلة التاريخ.

وزير الصناعة والتنمية التكنولوجية الأسبق